مقدمة الكتاب

إن اللغة العربية — على الرغم من أنها لغة البلاد القومية — ليست بيسيرة التعلم على المتعلمين من أبناء العروبة كغيرها من اللغات الأجنبية على أهلها ، بل يقال فى أحيان كثيرة إن أبناء العربية يستسهلون اللغات الأجنبية كالإنجليزية والفرنسية وغيرهما على لغتهم العربية ، وأسباب ذلك كثيرة :

منها أن اللغة العربية ذاتها تحمل صعوبات جمة لانجدها مجتمعة فى لغة من اللغات الأخرى كاجتماعها فى العربية ؛ فقواعدها متشعبة ومتعددة ومبنية فى تشعبها وتعددها على أسس منطقية وفلسفية لا يكاد يدخل إليها الدارس ليسبر غورها حتى ينزلق إلى متاهات قد يضل فيها السالك . ولم يستطع علماء العربية أو لم يجرءوا حتى الآن على أن يخففوا من غلواء هذه المتاهات ، ويحددوا معالمها ، ويختصروا مسارها للمتعلم فى مراحل دراسته العامة بما هى أهل له فيكون هو أهلا لدراستها ، حرصاً أو ادعاء الحرص على اللسان العربى الذى أنزل به القرآن الكريم ، ولو أنهم فعلوا لسايروا طبيعة اللغة العربية ، ولما أصاب اللسان العربى ضرر ، ولحافظوا بأكثر من حرصهم اليوم على القرآن الكريم . ولقد رأينا فيما قام به الأستاذ إبراهيم مصطفى فى كتابه إحيـاء النحو خطـوة جريئة فى هذا الصدد تستأهل التعرض لها بالتحليل فى ضوء ما ينفع المتعلم فى مراحل ما قبل الجامعة من التعليم .

وبجانب القواعد النحوية وصعوبة تعلمها على هذا النحو هناك الرسم الإملائى الذى يخالف النطق فى كثير من الأحيان ، ويكفى أن نضرب مثلا لذلك بالألف اللينة التى تنطق ألفاً دائماً ولكنها تحير المتعلم حين يكتبها ألفاً تارة وياء تارة أخرى بناء على أصلها الواوى أو اليائى الذى يصعب عليه رد الكلمة إليه ، أو بناء على قواعد أخرى لسنا بصدد الحديث عنها . ومرة أخرى لم يجرؤ علماء العربية أن يجدوا مخرجاً لهذه الصعوبة تيسيراً على المتعلم وتخفيفاً من عبء العربية عليه قراءة وكتابة .

ومنها أن المتعلم العربى لا يتحدث العربية الفصيحة فى بيته أو فى الشارع ، وإنما يتحدث بدلاً منها لغة عامية فيها حقًّا ألفاظ عربية أو قريبة من العربية ، ولكنها بتراكيبها وبجمل كلماتها تخرج عن الصيغة العربية المقبولة التى يدرس التلميذ قواعدها وأصولها فى المدارس مما يجعل منها لغة تكاد تكون غريبة عليه وأجنبية عنه .

ومنها أن الاستعمار خلف لنا أسوأ لمسة فى حياتنا الاجتماعية وهى النفور من اللغة العربية وكراهية الانتماء إليها ، بل وازدراء أهلها والقائمين على أمرها ؛ وذلك لأنه كان يريد بهذا القضاء على قوميتنا وعروبتنا وتراثنا الإسلامى حيث اللغة العربية هى أهم عماد فى ذلك كله . ولم نستطع حتى اليوم — على الرغم من الكثير الذى حدث فى هذا الصدد — أن نتخلص جملة من مس الشيطان الاستعمارى ، فنقدس لغتنا ، ونعتز بها وأهلها الاعتزاز اللائق بها وبهم ، ومن ثم فما زالت اللغة العربية هى ذيل ما ينبغى الحرص عليه ، وما زال مدرسوها والقائمون عليها هم أولى الناس بالبعد عن مجالات الحياة الاجتماعية وارتقاء المناصب القيادية حتى لا يقلبوها عربية فصيحة كما يقال ونسمع ، وما زال الذين لا يباشرون دراستها أو القيام على أمرها يتبرءون منها تبرؤهم من الداء الوبيل إلا قليلا منهم ، فمدرس غير اللغة العربية لا يعنى فى فصله بأمر العربية ، ولا يحفل أن يحرص عليها حتى لا يتهم بدائها ، وكثير من المسئولين التربويين خارج المدارس يتحدثون عن العربية كلاماً حلو المسمع ، طيب الوقع ، يرضى العربية وأهلها ، ولكنهم فيما بينهم وبين أنفسهم يكذبون ما يقولون ، ويستغفرون الشيطان أن اضطرتهم الظروف إلى ما سوف ينقضونه بالتأكيد فعلا وعملا .

ومنها أن مدرس اللغة العربية لم يلق ما ينبغى أن يلقاه من الإعداد اللغوى ؛ فإعداده للمرحلة الابتدائية هزيل بحيث تموت اللغة العربية فى لسانه وبين يديه فى اليوم مئات المرات فكيف به يقوّم لساناً عربياً غيره من تلاميذه الذين هم لا شك فى فترة من العمر أشد ما يكونون احتياجاً إلى إرساء الأسس القويمة

فى بناء شخصياتهم ومستقبلهم الثقافى ، وإعداده المرحلة الإعدادية والثانوية يحمل الكثير من الضعف وعدم العمق فى دراسة العربية ، ومن ثم لا يكون لها خير مدرس ، ولا يتسم فى تدريسها بالأمانة والفاعلية ، وليس أدل على ذلك من أن كثيراً منهم لا يستطيعون أن يقرءوا صحيحاً أو يكتبوا صحيحاً ، وليس العيب فى ذلك عيبهم ولكنه عيب الإعداد والتخطيط لهذا الإعداد .

لهذا ولغيره فإن اللغة العربية فى حاجة إلى إعادة نظر بالدراسة والتحليل وبخاصة فى طرق تدريسها ، إنها فى حاجة إلى تضافر الجهود وتجميعها من أجل الارتقاء بشأنها بما هى أهل له باعتبارها لغة قومية لا تقل شأناً عن اللغات القومية الأخرى . ولقد أعلم أن كثيراً من جامعات أمريكا تشترط مستوى معيناً فى اللغة الإنجليزية من أى طالب يتقدم للالتحاق بإحدى كلياتها أياً كانت هذه الكلية وأياً كان نوع الدراسة بها ، وتضع لهذا المستوى المقاييس المضبوطة والاختبارات المقننة التى ينبغى أن يجتازها كل من يريد مواصلة الدراسة الجامعية . وإن من حق الطالب عندنا فى جمهورية مصر العربية إذا أردنا أن نحاسبه هذا الحساب أن نمهد له الطريق وألا نفجأه به ، وذلك لا شك يقتضى البحث المتواصل والدراسة العميقة فى مادة اللغة العربية نفسها ، وفى إعداد مدرسيها ، وفى الطرق التدريسية الصالحة لتدعيم النجاح فى تعلمها .

ولقد حاولت فى هذا الكتاب أن أنتحى ناحية البحث فى تدريس اللغة العربية بشىء من الفكر المتحرر ، ماساً بعض النواحى الأخرى مساً خفيفاً ، وقد اعتمدت على تحليل المواقف التربوية وضرب الأمثلة العملية من أجل التطبيق ، تاركاً المجال بعد هذا وذاك للمدرس أن يقيس ويختار ويتحرر هو أيضاً فى التفكير ؛ حيث أؤمن أن المواقف التدريسية يختلف بعضها عن بعض ، ولا يكاد واحد منها ينطبق على الآخر بلا زيادة أو نقصان ، وحيث أعتقد أن طبع المدرسين جميعاً على مسلك تدريسى واحد بإقامة هيكل تدريسى يتبع خطوة خطوة يعد جناية لا تغتفر ؛ فهو يلغى شخصية المدرس ولا يحترم عقله

وتفكيره في حين أنه لاشك محتاج إلى إثبات وجوده وانفتاح ذهنه، كما أن ذلك تدخل – في رأيي – بوصف الدواء بلا تشخيص إلا في الخيال ، ونكران بعد هذا للحق التربوى الذى أثبتته البحوث والتجارب .

هذا وقد تم طبع الجزء الخاص باللغة العربية ثلاث مرات ابتداء من سنة ١٩٦٩ م حتى سنة ١٩٧٧ ، وكان قد تم إعداده للطبع منذ سنة ١٩٦٤م . ولكنى وقد أضفت قسما لا يستهان به خاصاً بتدريس الدين الإسلامى مما يبدو معه الكتاب وكأنه مختلف تماماً عن ذى قبل ؛ آثرت أن أساير ما بدا به فأجعله كتاباً جديداً بدايته تلك الطبعة التى بين يدى القارئ ، وأن أجعل عنوانه : دراسات تحليلية ومواقف تطبيقية فى تعليم اللغة العربية والدين الإسلامى .

والواقع أننى حين بدأت تأليف هذا الكتاب لم يكن فى ذهنى أن أضيف إليه جزءاً خاصاً بتدريس الدين الإسلامى ؛ حيث كنت أعتقد أن تدريس الدين الإسلامى يحتاج إلى مؤلف خاص به. ومن ثم عقدت العزم على أن أخصه بكتاب .

وعند ما بدأت أكتب فى موضوع تدريس الدين الإسلامى وجدت أن هناك عناصر كثيرة مشتركة بين فروع الدين الإسلامى وفروع اللغة العربية حين تدرس ؛ بحيث لو خصصت تعليم الدين الإسلامى بمؤلف لاحتجت إلى تكرير كثير مما ذكرته فى كتاب تعليم اللغة بنصه دون تحريف أو تغيير ، وحينئذ آثرت أن أجعل تدريس الدين الإسلامى جزءاً مكملاً لكتاب تعليم اللغة العربية مكتفياً بإحالة القارئ – فيما يتعلق بالعناصر المشتركة – إلى ما كتبته فى القسم الخاص بتعليم اللغة العربية دونما حاجة إلى تكرار قد يكون مملاً فى قراءته وفى الوقت نفسه مضيفاً لأعباء مالية من غير ضرورة ملحة .

ولقد طرحت فى الجزء الخاص بتعليم الدين الإسلامى أفكاراً جريئة تستحق الوقفة والتأمل والدراسة ؛ آملاً من وراء هذا أن تكون لدراسة الدين الإسلامى فى مدارسنا فاعلية محمودة الأثر فى توجيه سلوك الشباب ، وطبعه بخلق الدين

الإسلامى القويم ، وتمسكه بما فيه من آداب وفضائل تنهض بها دنيانا ، وتعلو بأسلوب العيش فيها ، وتحل فيها السلام والوئام ، وتطرح عن كاهلها الشقاء الذى يعانى منه اليوم بنو البشر حين ضلوا طريق الدين وآثروا الاحتماء بغير تنزيل الحكيم الخبير . وليس صلاح هذه الدنيا — كما أرى — ببعيد عن صلاح أمر الآخرة ، بل يكاد يكون هو هو ؛ من حيث إن كل ما يلقاه الإنسان فى دنياه ، ويتعرض له من خير أو شر ، ويؤديه من إنجازات فى أى موقع يكون فيه هو من عمل الآخرة ومن الزاد الذى يتزود به لها ، غير أنه قد يكون عملاً للآخرة خاسراً وزاداً لها من الشوك والحنظل إذا دنسته يد الشيطان بطواعية من الإنسان ، وقد يكون عملا صالحاً وزاداً طيباً يرتفع به صاحبه إلى مقام الرضا عنه من رب العالمين إذا سدت إليه منافذ الشيطان ، وباركه خلوصه لوجه الرحمن .

والكتاب إذاً يقع فى قسمين : القسم الأول خاص باللغة العربية وتعليمها ، ويتضمن تسعة فصول ؛ بدأتها بفصل هو فى الواقع مقدمة الفصول عن اللغة بعامة ، ثم ثنيت بفصل عن اللغة العربية وأهميتها ، وتعرضت فيه لنشأتها باختصار ، ومكانتها فى المنهج الدراسى ، ثم وظائفها الرئيسة فى مراحل التعليم العام وتحدثت فى النهاية عن وحدة هذه اللغة وارتباطها بغيرها من ميادين المعرفة الأخرى .

أما الفصل الثالث فتعرضت فيه لتدريس القصة سواء أكانت قصيرة أم طويلة ، معرجاً على بيان أنواعها وأهميتها فى الحياة ووظيفتها التربوية ؛ ثم انتقلت إلى الفصل الرابع وهو يتناول القراءة مبيناً التضارب الذى حدث بين بعض نتائج البحوث الحديثة والقديمة فى ميدانها . ولقد جمعت فى فصل واحد هو الفصل الخامس بين الإملاء والخط والتعبير وعنونته : تدريس الكتابة والتعبير نظراً لانطباق معنى الكتابة بعامة على الرسم الإملائى أو الخط أو التعبير الكتابى ، ويتخصص أحد هذه الفروع بإرادة المتكلم ومقصوده لا بإطلاق اللفظ .

وفى الفصل السادس تحدثت عن تدريس الأدب والنقد والبلاغة حيث يتصل أحدها بالآخر أشد اتصال وأوثقه ، وحيث ينبغى أن تتداخل جميعاً فى مواقف التدريس بصورة خاصة وضحتها فى ثنايا هذا الفصل . وفى الفصل السابع تعرضت للحديث عن تدريس القواعد النحوية ، وأنهيته بسؤال حاولت الإجابة عنه هو : لماذا لا يبسط النحو على هذا النحو ؟ .

ونظراً لأهمية الوسائل التعليمية فى تدريس اللغة العربية فقد خصصت الفصل الثامن للحديث عن : الوسائل التعليمية وتدريس اللغة العربية ، واقترحت عند الحديث عن كل وسيلة مواقف تدريسية يمكن لمدرس اللغة العربية أن يقتبسها ويقيس عليها .

وختمت هذا القسم بفصل تاسع حاولت فيه أن أرد نظرياً وعملياً على شبهة الفصل بين فروع اللغة العربية فى التدريس بناء على الفصل بينها فى المعالجة حين التعرض لها فى ثنايا الكتاب .

أما القسم الثانى ويختص بالدين الإسلامى ومواقف تعليمه ، فيتضمن فصلين هما : الفصل العاشر ، وينصب الحديث فيه على الدين وأهميته للإنسان ؛ مشتملاً على عدة مباحث تتمثل فى : مقدمة فى نشأة الدين وتطور مفهومه ، وظائف الدين الإسلامى للفرد والجماعة ، الدين فى المنهج الدراسى ، ثم الصلة الوثيقة بين ما يهدف إليه تعليم الدين الإسلامى وما يهدف اليه التعليم بعامة . أما الفصل الثانى فهو الفصل الحادى عشر ويختص بالحديث عن تدريس علوم الدين الإسلامى متضمناً : تدريس القرآن الكريم والتفسير ، تدريس الحديث الشريف ، تدريس الفقه الإسلامى ، تدريس التوحيد ، تدريس الثقافة الإسلامية ، ثم استخدام الوسائل التعليمية فى تدريس الدين الإسلامى .

وإنى إذ أقدم الكتاب للقارئ على هذا النحو الجديد لأرجو أن أكون قد

توخيت بحق نفعه وما يسهل عليه ،وأن أكون عند حسن ظنه فاتحاً أمام الدارسين مجالات من الدراسة تفيد اللغة العربية وتعين على رفعة شأنها وشأن المعنيين بها ، وممهداً للدين الإســلامى طريقاً للتعليم الجاد المثمر ، وأن يكون عملى بعد هذا كله خالصاً لوجهه تعالى .

حسين سليمان قورة

obeikandl.com